الفصل الأول

تمهيد

« المشكلة هى أننا لو أعطينا مائة فكرة جديدة ، منها المتعلق بالألفاظ والأساطير القديمة ، ومنها ماهو متعلق بالصناعة وغير ذلك ، فان عشراً منها لابد أن تنتشر خارج الحدود ، فى حين تندثر التسعون الباقية وتتعرض للنسيان . فكيف السبيل إلى التقليل من سلطان هذه الظاهرة ؟ »

« جبرائيل تاردى » ، عام ١٩٠٣ .

وصفحات تاريخ العالم مليئة بالقصص المتدافع عن الحروب الدامية ، ذلك القصص الذى يصور تصويراً قوياً الطريقة التى تتغير بها ثقافة الأمم والناس . وبالرغم من ذلك ، فإن عدداً من المعارك الكبرى التى خاضتها البشرية لم يكن سلاحها السيف ، بل الأفكار التى تغلغلت فى حياة الناس ، ثم ظهرت مرة أخرى على صورة تطوير اجتماعى . وإن الانفجارات والهزات التى تحدثها الأفكار الجديدة فى عقول الناس ، لهى من الأمور التى لايشك إنسان فى وجودها ، كما لا يشك فى آثارها المخربة . وهذا مانراه فى الصواريخ الذرية التى تستعملها أسلحة الحرب الحديثة .

« ريد » ، عام ١٩٦٠ .

ونتائج التغيير التكنولوجى ظاهرة للعيان فى كل مكان . من ذلك مانراه فى ميادين الزراعة الأمريكية حيث كان المزارع العادى عام ١٨٢٠ ينتج مايكفى أربعة أشخاص غيره ، فى حين أنه عام ١٩٤٠ ارتفع هذا العدد إلى اثنى عشر ، وفى عام ١٩٦١ أصبح العدد سبعة وعشرين . ومن الشواهد الأخرى على التغيير التكنولوجى العدد المتزايد من الأدوية

الجديدة التى تخرج إلى الأسواق كل عام ، وكذلك الزيادة المطردة فى الإنتاج مقدراً بعدد الساعات التى يشتغلها الفرد فى اليوم الواحد ، وكذلك انتشار العمليات الآلية فى ميادين الصناعة ، وانتشار الأجهزة المنزلية ، وظهور أنواع جديدة منها كل عام . وبالإضافة إلى ذلك ، نرى أن سكان الولايات المتحدة لايرضيهم أن يقفوا عند حد إجراء شىء من التعديل فى ثقافتهم ، إذ أنهم يسعون لإدخال أفكارهم المستحدثة إلى المناطق الأخرى من العالم ، وهى المناطق التى لم تستكمل نموها بعد .

لقد صرف سكان الولايات المتحدة عشرة بلايين دولار على بحوث التنمية عام ١٩٦٠ ، ولسوف يزداد هذا الرقم إلى مايقرب من إحدى وعشرين بليوناً فى عشر سنوات . ومع ذلك فإن هذه المبالغ الباهظة التى تصرف على البحث العلمى ، لاتعتبر استثماراً حقيقياً ما لم تنتشر نتائج هذه البحوث فى أوسع نطاق ممكن ، وما لم يتم اعتناق الأفكار التى تتمخض عنها . ولما كانت هذه الحقيقة قد أصبحت واضحة تماماً فى السنوات الأخيرة ، فإن جهوداً عديدة تبذل الآن للإسراع بنشر نتائج البحوث والعمل على التغلب على آثارها إلى أبعد حد ممكن .

وبالرغم من الموقف المشجع الذى يقفه الأمريكيون عادة تجاه العلوم والتكنولوجيا ، فإنه من الضرورى أن تنقضى فترة طويلة ـ فترة اختمار ـ قبل أن تنال أية فكرة جديدة قبولاً عاماً لدى الناس ، وهذا أمر لاشك فيه بالرغم من الفوائد الاقتصادية التى تعود على الناس من وراثها . فمثلاً وجد أن ثمة فترة زمنية تبلغ أربعين عاماً انقضت فيما بين النجاح الذى صادفه اختراع الفرن السفلى فى صناعة الفخار وبين انتشار هذا الفرن . كذلك تطلب الحال مرور أكثر من أربعة عشر عاماً قبل انتشار بذور الذرة الهجين وإقبال زراع ولاية أيوا عليها . ومن المعروف أن مايقرب من خمسين عاماً انقضت عقب ظهور أسلوب التربية الحديثة إلى الوجود وقبل

أن يدخل هذا الأسلوب إلى مدارس التعليم العام . على أنه من المعلوم أن المدرسة الأمريكية العادية تعتبر متأخرة بما يقرب من خمسة وعشرين عاماً عن غيرها من المدارس التى تطبق أسلوب التربية الحديثة .

والبحوث الأخيرة التى أجريت على جديد الأفكار وطرق انتشارها تكشف عن وجود العديد من مثل هذه الثغرات الزمنية . فمثلاً المزارع الأمريكى العادى فى مقدوره أن ينتج ما يكفى خمسين فرداً (وليس سبعة وعشرين فرداً) إذا اتبع الأساليب الحديثة فى عمله . والواقع أنه ورد فى تقارير إدارتين من إدارات وزارة الزراعة الأمريكية أن « الناس يتطورون ويستخدمون التكنولوجيا فى الزراعة بطريقة تذكرنا بالحركة البطيئة فى قفزات الضفدعة . والفترة الزمنية التى تنقضى بين كل قفزة يمكن أن تقدر بالشهور أو الأعوام ، أو حتى عشرات الأعوام » . لهذا السبب نرى أنه بالرغم من استثمار مبالغ باهظة فى تطوير الأفكار الجديدة ونشرها بين المعنيين بها وتوصيلها إليهم فإنه لابد من انقضاء وقت طويل قبل أن يتبنى عدد كبير من الناس هذه الأفكار ويفيدون منها .

إن أحد الأهداف الظاهرة أو الباطنة لكثير من الدراسات التى تجرى على انتشار الأفكار الجديدة كان دائماً ينحصر فى تحديد الأساليب التى يمكن بمقتضاها التعجيل بهذا الانتشار . على أن تحقيق هذا الهدف لهو من الأهمية بمكان كبير لأمريكا الحديثة وعلى وجه التحديد مركزها الدفاعى الخارجى . ومن الواضح أن البحوث وحدها ليست بكافية لحل معظم المشكلات بل إن نتائج هذه البحوث هى التى لابد أن تنتشر وأن تجد من يتبناها قبل أن تتحقق الفائدة منها . والواقع أن الفوائد التى تعود علينا من البحوث التى تجرى للتعرف على حقائق انتشار الأفكار الجديدة نفسها لا يمكن أن تتحدد مالم يتم نشر النتائج وتعميمها بين الناس . ومن الأسباب الجوهرية

التى دعتنا إلى إصدار هذا الكتاب العمل على دفع الناس إلى تفهم حقائق هذه البحوث .

على أنه لاينبغى الافتراض بأن انتشار جميع الأفكار الجديدة واعتناق الناس لها هو حتماً من الأمور المرغوب فيها . ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب سوف يستعرض الدراسات المتعلقة بالأفكار الجديدة التى لا تحظى منا بالرضا أو الأفكار غير الاقتصادية أو الأفكار الضارة بوجه عام لكل من الفرد والمجتمع .

ونحن نقول هنا أيضاً إنه بالرغم من أن انتشار معظم الأفكار الجديدة المناسبة لنا يحتاج إلى فترة زمنية طويلة فإن حتمية انتشار مثل هذه الأفكار أمر لايقبل الجدل . ومعظم المحاولات الرامية إلى الحيلولة دون الانتشار لم يكتب لها النجاح . ولنا عبرة فيما فعله الصينيون القدماء عندما حاولوا أن يحتكروا استخدام البارود وأن يجعلوه وقفاً عليهم وفى الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة للحيلولة دون ذيوع سر القنبلة الذرية . على أنه لايستبعد أن يتمكن فى النهاية العدد الأكبر من الدول الصغيرة فى العالم اليوم من الحصول على المعلومات المتعلقة بالأسلحة النووية .

الاهتمام بالبحوث الخاصة بذيوع الأفكار الجديدة :

يتحدث الدكتور « جو اكرمان » مدير مؤسسة المزارع بشيكاجو عن تجربة توضح الاهتمام المتزايد بذيوع الأفكار الجديدة . فقد دعت مؤسسة المزارع عدداً من علماء علم الاجتماع الريفى المهتمين بموضوع انتشار الأفكار الجديدة إلى ندوة خاصة . وكان ذلك عام ١٩٥٥ . وبعد أن أفرغت الهيئة من مناقشاتها وضعت تقريراً يتضمن تلخيصاً للنتائج العامة المستخلصة من الدراسات المختلفة التى أجريت على هذا الموضوع . لقد أحس علماء الاجتماع هؤلاء ـ فى اعتقادهم أنهم هم وحدهم المهتمون بهذا الموضوع ـ

بأن خمساً وعشرين نسخة فقط من هذا التقرير تعتبر كافية . غير أن مدير المؤسسة استطاع أن يقنعهم فى النهاية بالموافقة على طبع خمسة آلاف نسخة من هذا التقرير . وما إن انتهى عام ١٩٦٢ حتى وجدنا أن ثمانين ألف نسخة أخرى قد وزعت فى أنحاء العالم ، كما وضعت ترجمات لهذا التقرير باللغات الهولندية والإسبانية وغيرهما من اللغات .

وفى عام ١٩٥٥ قام عالمان من علماء الاجتماع بجامعة أيوا بإلقاء أحاديث عامة لتوضيح الطرق التى تنتشر بمقتضاها الأفكار الجديدة فى ميدان الزراعة. وبعد مرور ست سنوات كانا قد تمكنا فى أثنائها من إلقاء هذه الأحاديث العامة بما يزيد على مائة وستين مرة أمام عدد كبير من الفئات ذات القدرة على إحداث التغيير الاجتماعى بنقل الجديد من الأفكار كالبائعين المتجولين ومندوبى شركات الإعلانات ورجال الخدمة العامة فى المؤسسة الزراعية ومديرى المصانع . ولقد ترك مثل هذا العمل أثراً كبيراً فى تعريف الناس بالنواحى النظرية وكذلك فى نشر نتائج البحوث التى أجريت فى مجال ذيوع الأفكار الجديدة .

البحوث التى أجريت على ذيوع الأفكار الجديدة :

فى السنوات الأخيرة ، زاد عدد الدراسات التى أجريت على ذيوع الأفكار المستحدثة ، كما زاد الاهتمام بنتائج هذه الدراسات . فمثلاً نجد أن ما يزيد على ١٧٢ بحثاً عن الأفكار الجديدة فى عالم التربية والتعليم قد أجريت منذ عام ١٩٣٨ . كذلك حظيت البحوث المتعلقة بالأفكار الجديدة فى الزراعة باهتمام كبير إذ أن علماء الاجتماع الريفى قد أجروا ما يزيد على ٢٨٦ بحثاً منذ أن بدأت الحملة الأولى التى قادها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ لتقصى الحقائق فى موضوع اعتناق الزراع لفكرة الذرة الهجين. ومما لاشك فيه أن أمراً كهذا يمثل من نواحى عديدة الأفكار الجديدة فى ميدان الزراعة تمثيلا صادقاً . لقد استطاع « رايان » و « جروس » أن

ينفذا إلى عدد كبير من المناطق ويتناولاها بالتحليل الدقيق ، تلك المناطق التى كانت دائماً هدفاً لدراسة الباحثين فى طبيعة انتشار الأفكار الجديدة .

أما البحوث التى يتناولها هذا الكتاب وعددها ٥٠٦ بحوث فقد تمخضت هى الأخرى عن نتائج مماثلة إلى حد كبير وإن كانت المحاولات التى بذلت للمفاضلة بين النتائج لم تكن كافية . وينبغى الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من أن دراسات عديدة قد وضعت فعلاً ، ما زال هناك الكثير الذى لا بد أن يعمل فى هذا المجال . أما المجالات التى ما زالت تحتاج إلى دراسات فسوف نشير إليها فى أماكن مختلفة من هذا الكتاب .

والأفكار الجديدة التى كانت موضوعاً للدراسات والبحوث المذكورة فى هذا الكتاب توضحها الأمثلة التالية :

١ — شيوع المصل الواقى من الجدرى بين الأطباء فى إنجلترا وفرنسا فى القرن الثامن عشر وعلاقة ذلك بأحد الأدوية القائمة على المضادات الحيوية التى يستعملها أطباء ولاية إلينوى لنفس هذا المرض .

٢ — الأسمدة الكيماوية وثانى أكسيد الأيدروجين المبيد للأعشاب الضارة ، والسيارات ذات الصهاريج المستخدمة فى نقل الألبان ، وغير ذلك من الأفكار ذات الصلة بالزراعة وتربية الحيوانات والتى توجد فى البيئات الريفية .

٣ — تدريب التلاميذ على قيادة السيارات وبرامج علاج التأخر فى القراءة وغيرها من الأفكار الجديدة التى ذاع أمرها فى دنيا التربية والتعليم .

٤ — تنظيم النسل بين المهاجرين من بورتوريكو .

٥ — المنسوجات الجديدة المصنوعة من مواد مستحدثة كالنيلون ، والبطاطين الكهربائية ، وغيرها من المخترعات المنزلية التى انتشرت بين ربات البيوت .

٦ — أساليب تربية الأطفال وهى الأساليب الشائعة بين الأمهات الأمريكيات .

٧ — هواية صنع أجهزة الراديو .

٨ — استخدام ماكينات السحب العالى فى صناعة غزل ونسج القطن .

٩ — إقبال الفلاحين فى تايلاند على تربية الأسماك فى حقول الأرز .

وبالرغم من الصفات الخاصة التى تتسم بها كل فكرة من الأفكار المذكورة فإننا نرى تشابهاً أساسياً مشتركاً بين النتائج المستخلصة من الدراسات التى أجريت عليها . ويشكل هذا التشابه العمود الفقرى لهذا الكتاب .

الهدف الذى يسعى هذا الكتاب الى توضيحه:

وبالرغم من أن الباحثين فى عدد من مجالات البحث المختلفة قد قاموا بدراسة ظاهرة انتشار الأفكار الجديدة فإن العلاقة تكاد تكون مفقودة بين هذه البحوث بعضها ببعض . فمثلاً نجد أن رجال علم الاجتماع الطبى وعلماء التربية والتعليم وعلماء الأنثروبولوجيا ورجال علم الاجتماع الريفى يكاد يجهل كل منهم مايقوم به الآخر من أبحاث فى ميدانه وما توصل إليه من نتائج . وفى كل مجال من مجالات البحث تطورت الأمور إلى الدرجة التى يصبح معها من الميسور الحصول على نتائج أكبر لو تمت الاستعانة بنتائج البحوث التى أجريت فى المجالات الأخرى ، وذلك أفضل بكثير من القيام بمزيد من البحث المعتمد على مزيد من الجهد والمال فى نفس المجال . وفى ميدان الزراعة توجد ملخصات لنتائج البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى نطاق الزراعة وضعها « ليونبرجر » عام ١٩٦٠ . أما فى مجال التربية والتعليم ، فقد وضع هذه الملخصات « روس » عام ١٩٥٨ . على أنه مامن باحث حاول حتى الآن إبراز المناهج المشتركة التى سارت بمقتضاها كافة البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة فى تلك المجالات . وهذا هو نفس ماتصدى له الآن

والهدف الأساسى لهذا الكتاب هو تجميع وتقييم النتائج التى تمخضت عنها البحوث والنظريات التى تم وضعها فى هذا المجال . ولو كان لدى القارىء الوقت الكافى لقراءة وهضم تقارير عن عدد من البحوث يزيد على خمسمائة وستة بحوث فهو إذن ليس فى حاجة إلى مثل هذا الكتاب . على أنه ليس من الميسور أبداً الحصول على كثير من المطبوعات المتضمنة تلك البحوث حيث أن بعضاً منها عبارة عن رسائل علمية نفدت طبعاتها ، أو تقارير مكتوبة وموزعة فى أماكن متعددة . وإحدى وظائف هذا الكتاب العمل على تقريب هذه المصادر للقارىء ، كما أنه من المؤمل أن يحول هذا الكتاب مستقبلاً دون تكرار للجهود التى بذلت فى مجال البحث وازدواجها . أما المجالات التى تحتاج منا إلى أن نقوم فيها ببحوث خاصة فيمكن أن تدلنا عليها الطريقة التى نصطنعها عند التفكير فى وضع نظرية تعبر عن موضوع انتشار الأفكار الجديدة بين الناس .

ومعظم البحوث التى أجريت على هذا الموضوع تمت عن طريق الأداة المحببة لدى علماء الاجتماع ألا وهى المقابلة الشخصية . وبالرغم من نقائص معينة فى هذا الأسلوب ، فمن الميسور القول إن الجانب الأكبر من البحث الذى يجرى على انتشار الأفكار الجديدة يتميز بالرصانة والقوة . ومؤلف هذا الكتاب لم يحاول تقرير نتائج رئيسية مستمدة من البحوث التى يتصدى لها بالدراسة فحسب بل سوف يبين باختصار طريقة الحصول على هذه النتائج ، ومن ثم يستطيع القارىء أن يحكم بنفسه على صدقها . والعديد من النتائج قد نظمت حول سلسلة من التعميمات التى تلخص الشواهد المتاحة على وجود علاقة بين مفهومين أو أكثر . وبالرغم من أن هذه التعميمات تتسم بقدر من الصدق ، فإننا لانستطيع أن ننظر إليها باعتبارها مبادىء عامة حتى نقوم بقسط أوفر من البحث ، وقبل ذلك فهذه التعميمات تتراوح بين حدى الفروض والمبادىء . على أن الأمر

يحتاج إلى مزيد من التعميمات تضاف إلى التعميمات الحالية كلما أصبح من الميسور الحصول على نتائج جديدة للبحوث .

وهذا الكتاب يتضمن أيضاً عدداً كبيراً من الأمثلة الشارحة للقضايا والمواقف . والمثال التالى يبين العوامل المعقدة التى يتضمنها انتشار الأفكار الجديدة وهو يصور فشل إحدى الحملات الصحية لإقناع سكان إحدى المدن فى جمهورية « بيرو » بغلى الماء قبل شربه . ومن الجائز أننا نستطيع أن نفيد من تحليل الفشل فى ذيوع الأفكار الجديدة ، كما نفيد من دراسة النجاح الذى تحرزه هذه الأفكار فى مجال الانتشار ، وإن كان عدد هذا النوع من التحليل الدراسى مازال قليلاً نسبياً .

فكرة جديدة لم يكتب لها الذيوع :

غلى الماء قبل شربه فى احدى مدن جمهورية بيرو :

حدث فى جمهورية « بيرو » أن دعت الأحوال الصحية إلى اتخاذ بعض الإجراءات الخاصة للمحافظة على الصحة العامة كغلى الماء الملوث قبل شربه . وبعد عامين من العمل الشاق لنشر هذه الفكرة بين سكان « لوس مولينوس » ، وهى بلدة ريفية تضم مائتين من السكان ، استطاعت إحدى المشرفات الصحيات المحليات أن تقنع ، بعد سلسلة من الزيارات للمنازل ، إحدى عشرة سيدة من سيدات البيوت بغلى الماء قبل شربه . لقد عاون « نيليدا » المشرفة الاجتماعية فى عملها هذا طبيب ، وكان بدوره يلقى من حين إلى آخر أحاديث عامة عن غلى الماء قبل شربه . كذلك عاونها عدد من ربات البيوت اللائى كن يغلين الماء قبل مجىء « نيليدا » .

وبالرغم من الجهود الجبارة التى بذلت لتعويد الناس على غلى الماء قبل شربه ، فإننا نتساءل فى عجب : لم لم يكتب لهذه الفكرة الذيوع فى تلك المدينة الصغيرة ؟ ولكى يمكن الإجابة على هذا السؤال لابد أولاً من فهم طبيعة سكان بلدة « لوس مولينوس » ومعرفة الكثير عن ثقافتهم .

« لوس مولينوس » :

ومعظم سكان بلدة « لوس مولينوس » هم من الفلاحين الذين يعملون فى المزارع المحلية عمالاً زراعيين . فى هذه البلدة لاينقل المـاء فى أنابيب ولـكن يحمل مباشرة من النهر ، ومن الآبار بوساطة الأوانى المعدنية والدلاء والقلل والبراميل . والأطفال هم فى العادة الذين يتولون حمل الماء من مكان إلى آخر حيث أنه من غير اللائق لذوى السن المتقدمة أو المركز الاجتماعى أو أصحاب العائلات أن يتولوا بأنفسهم نقل المـاء . وللماء فى هذه المدينة مصادر ثلاثة : الحفر الموسمية التى تستخدم لتجميع الميـــاه وتوجيهها لرى الأراضى ، والعيون ، والآبار العامة . وهذه كلها معرضة فى جميع الأوقات للتلوث كما أنه قد ثبت تلوثها فى كل مرة فحصت فيها . ومن بين هذه المصادر الثلاثة تعتبر الحفر الموسمية أكثرها استخداماً إذ أنها تكون عادة قريبة من المنازل ويسهل على الأطفال الوصول إليهـا وجلب الماء منها ، كما أن الناس يفضلون ماءها لأنه يميل للجريان ولا يعتبر راكداً .

وإقامة شبكة لنقل المـاء بطريقة صحية فى هذه المدينة ليست من الأمور الميسورة ولـكن احتمالات انتشار أمراض كالتيفود وغيره من الأمراض التى تنتشر بتأثير تلوث المياه يمـكن تقليلها إلى أقل حد ، وذلك بغلى المـاء قبل شربه أو استخدامه . وفى خلال العامين اللذين أمضتهما « نيليدا » فى بلدة « لوس مولينوس » زارت جميع المنازل ، ولـكنها كرست جهوداً خاصة للاهتمام بإحدى وعشرين أسرة من أسر المدينة ، فزارت كل أسرة من هذه الأسر المختارة عدداً من المرات يتراوح بين خمس عشرة وخمس وعشرين مرة . إن إحدى عشرة أسرة من الأسر الواحدة والعشرين يقومون الآن بغلى المـاء بانتظام قبل استخدامه .

والآن لننظر إلى أفراد هذه الأسر نظرة فاحصة ونتناول بالدراسة ربات ثلاث : واحدة تغلى الماء لمجرد مسايرة العادات والتقاليد ، وواحدة تغليه إرضاء للشرفة الصحية ، وواحدة رفضت الفكرة تماماً .

السيدة الأولى :

وهى التى تساير العادات والتقاليد ، وقد شارفت على الأربعين وتشكو من جيوب أنفية ويطلق عليها أهل المدينة « السيدة المتمارضة » . إنها تغلى قدراً صغيراً من الماء وتستخدمه طوال اليوم . هذه السيدة ليست لديها أية فكرة عن الجراثيم ، ولكن الدافع لها على غلى الماء تدعمه عقدة أوجدتها التقاليد المحلية ذات الصلة بالأطعمة « الساخنة » و « الباردة » . والمبدأ الأساسى لهذا الاعتقاد ينشأ من القول بأن كافة الأطعمة والسوائل والأدوية ومواد أخرى هى بطبيعتها إما ساخنة وإما باردة ، وهى فى ذلك لا تخضع لدرجة الحرارة السائدة فى الجو الخارجى . وفى حقيقة الأمر تستخدم الفروق فى مجال البرودة والسخونة كمجموعة من الإشعارات للابتعاد عن استعمال الشىء أو الإقبال عليه وبخاصة فى أوقات الصحة والمرض . والماء المغلى يرتبط فى أذهان الناس فى بلدة « لوس مولينوس » بالمرض ، ووفقاً للتقاليد فإن المرضى فقط هم الذين يستخدمون الماء المغلى ، أو « الساخن » . وبمجرد أن يعتبر الشخص مريضاً ، يصبح من الأمور المستبعدة كثيراً أن يقدم هذا الشخص على أكل لحم الخنزير وهو « بارد جداً » ، أو شرب البراندى « وهو شراب « ساخن جداً » . والماء قبل الغلى هو أيضاً « بارد جداً » . ومن الواجب البعد كلية عن التطرف نحو إحدى ناحيتى السخونة والبرودة .

والسكان المحليون يتعلمون من مطلع الطفولة الباكرة كره الماء المغلى ، ومعظمهم يستطيعون أن يتحملوه فى حالة ما إذا أضيف إليه ما يغير طعمه

فقط كالسكر أو القرفة أو الليمون أو الأعشاب البرية . أما هذه السيدة التى تساير العادات والتقاليد ، فتفضل أن تضيف إلى الماء الساخن قليلاً من القرفة . وهكذا نرى أن فكرة التلوث البكتريولوجى الماء لا يدخل أبداً فى نطاق الأفكار المكونة لثقافة هؤلاء الناس . وبمقتضى التقاليد الموروثة يهدف غلى الماء إلى القضاء على صفة البرودة الكامنة ذاتياً فى الماء غير المغلى ، وليس القضاء على البكتريا . إن هذه السيدة من عادتها أن تشرب الماء المغلى لمجرد مسايرة التقاليد ، ولكنها تشكو المرض برغم ذلك.

السيرة الثانية :

وهذه خضعت لإغراء المشرفة الصحية . لقد جاءت أسرة هذه السيدة إلى « لوس مولينوس » منذ جيل مضى ، ولكنها مازالت حتى الآن متأثرة بأسلوب الحياة فى وطنها الأصلى فى المرتفعات القريبة من البلدة . وربة هذه الأسرة تشعر برعب كامن من الأمراض التى يعتقد أن بيئة « لوس مولينوس » موبوءة بها . وقد يكون الخوف من المرض من جانب السيدة ربة هذه الأسرة أحد الأسباب التى عاونت المشرفة الصحية « نيليدا » على إغراء هذه السيدة بغلى الماء قبل استخدامه .

و « نيليدا » هى فى واقع الأمر صديقة لهذه السيدة ، وليست هى المفتشة اللعينة التى تبدو هكذا فى عيون بعض السيدات ، بل إن عملها إنما هو تبصير الأسر المهاجرة من الأقاليم المرتفعة بطبيعة الحياة فى المنطقة المنخفضة وتأمينهم ضد الأمراض الخطيرة المنتشرة فى هذه المنطقة . هذه السيدة تغلى الماء قبل استعماله . ليس هذا فحسب ، بل إنها أيضاً قد أقامت مرحاضاً ، كما أنها أرسلت ولدها الصغير إلى مركز الرعاية الصحية للكشف عليه .

هذه السيدة مازالت تعتبر غريبة على بيئة « لوس مولينوس » ، والسبب

فى ذلك لغتها الأسبانية التركيبة ، وهى لغة أهل المدينة ، وتسريحة شعرها المنقولة عن سيدات المنطقة الجبلية . وهذه السيدة عاجزة تماماً عن الاندماج الكامل فى مجتمع « لوس مولينوس » . ولما كانت بيئة هذه البلدة بالنسبة لهذه السيدة ليست بالمكان الطبيعى لها وهى لا تشعر نحو البلدة بروح الانتماء الطبيعى ، فإن هذه السيدة لا تأخذ بالمعايير الاجتماعية الشائعة فى البيئة وخاصة فيما يختص بانتشار الأفكار الجديدة . ولما كانت هذه السيدة ليس لديها ما تخشى ضياعه من الناحية الاجتماعية ، فإنها تحس أنها تربح من ناحية الطمأنينة الذاتية عند ما تعطى أذناً صاغية لنصائح « نيليدا » الودية . ومن الواضح أن غلى الماء قبل استعماله بالنسبة لهذه السيدة لن يحسن من مكانتها الهامشية فى مجتمع « لوس مولينوس » ، كما لن يزيده سوءاً . إنها تحس بعرفان الجميل بالنسبة « لنيليدا » لأنها بصرتها بالطريقة التى تزيل بها عن نفسها شعور الخطر والخوف من الماء الملوث .

السيرة الثالثة :

وهى التى ترفض النصيحة . وتمثل هذه السيدة الغالبية العظمى من أسر « لوس مولينوس » التى لم تقنعها الحملة الصحية بغلى الماء قبل استخدامه . وهذه السيدة لا تعرف شيئاً عن الجراثيم بالرغم من جهود « نيليدا » لتفهيمها كل شىء عنها . إنها تظل تتساءل كيف لا تغرق هذه الجراثيم فى الماء ؟ هل هى من فصيلة الأسماك ؟ إذا كانت الجراثيم من الضآلة بحيث لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة . أو حتى الشعور بها ، فكيف يمكن لمثل هذه الكائنات الدقيقة أن تعيش فى الماء ؟ فى العالم ما يكفيه من أخطار حقيقية جديرة بأن نهتم بها ونضطرب بسببها كالفقر والجوع ، فلم نضايق أنفسنا بالتفكير فى مخلوقات لا ترى أو تسمع أو تلمس أو تشم ؟ إن ولاءات هذه السيدة للمستويات التقليدية والمعايير الموروثة إنما هى فى صراع دائم مع فكرة غلى الماء قبل

استعماله . إن هذه السيدة ، لكونها تنتمى انتماء قوياً لعقدة البرودة والسخونة ، تحس إحساساً عميقاً بأن معتلى الصحة هم وحدهم الذين يحتاجون إلى شرب الماء المغلى . ومعظم ربات البيوت ، وبخاصة أولئك اللاتى ينتمين لمستويات اجتماعية بسيطة ، يعارضن فكرة غلى الماء لأنهن لا يستطعن ذلك حتى لو اقتنعن بصدق الفكرة . وهؤلاء النسوة يتعللن بحاجتهن إلى الوقت لكى يقبلن على غلى الماء . والفقيرات من ربات البيوت لا يستطعن عادة تحمل ثمن الوقود اللازم لهذا الأمر وهن فى ذلك يختلفن عن سيدات الطبقة الوسطى . هؤلاء النسوة الفقيرات يعملن عادة جنباً إلى جنب مع أزواجهن فى الحقول وهذا يحرمهن من الوقت لغلى الماء لأسرهن .

وثمة فرق أيضاً فى الكيفية التى تنظر بها الطبقتين الوسطى والدنيا إلى « نيليدا » . إن معظم الأسر الفقيرة تنظر إلى المشرفة الصحية باعتبارها « المفتشة الملعونة » أو « الجاسوسة » بعث بها إلى « لوس مولينوس » لتتصيد الأخطاء ولتضايق ربات البيوت بالضغط عليهن ومطالبتهن بالعناية بنظافة بيوتهن . ولما كانت هذه الفئة الفقيرة من ربات البيوت لا يملكن سوى القليل من وقت الفراغ ، فإن فرص إلتقائهن « بنيليدا » للتحدث عن فوائد غلى الماء قبل شربه كانت نادرة .

هذه الفئة محرومة أيضاً من فرص تكوين علاقات اجتماعية مع أناس من بيئات أخرى خارج البيئة التى يعشن فيها وهن ملتزمات لنمط الحياة ومخلصات للقيم الثقافية الشائعة فى بلدة « لوس مولينوس » . وبسبب تمسك أفراد هذه الفئة الفقيرة بالتقاليد المحلية فإنهن يملن إلى مقاومة كل ما هو جديد واعتبار كل ما هو مستحدث خطراً داهماً يهدد التقاليد الثابتة .

ما نستنتجه مما سبق :

فشلت فشلا ذريعاً حملة صحية واسعة النطاق قامت بها زائرة صحية فى

بلدة صغيرة من بلدان جمهورية « بيرو » تسكنها مائتا أسرة وكانت الحملة تستهدف إغراء السكان حتى يغلوا الماء قبل استعماله . أما أسباب الفشل فيمكن إرجاعها إلى المعتقدات الثقافية لسكان هذه البلدة وبخاصة عاداتهم المتعلقة بالأطعمة الباردة والساخنة وعلاقة ذلك بالأمراض ، فغلى الماء يجعله أقل « برودة » ومن ثم يصبح مناسباً فقط لذوى الصحة العليلة . أما إذا لم يكن الشخص مريضاً فإن المعايير الثقافية الشائعة تمنعه من شرب الماء المغلى .

والخارجون على تقاليد المجتمع هم وحدهم القادرون على تحدى العادات الخاصة بغلى الماء قبل استخدامه . وإن عاملا هاماً من العوامل التى تؤثر على مدى اعتناق الناس لفكرة جديدة ليكمن فى القيم الثقافية الخاصة بأولئك الناس .

هذا المثال من شأنه أيضاً أن يبين أهمية العلاقات الجماعية فى مجالات اعتناق الأفكار الجديدة أو مقاومتها . فالسيدة الثانية ، وهى التى خضعت لإغراء الزائرة الصحية ، كانت من الناحية الاجتماعية غريبة على بيئتها وإن عاشت فيها سنوات عديدة ، فى حين كانت المشرفة الصحية بالنسبة لهذه السيدة تشكل « جماعة إسناد » أكثر مما كانت بيئة « لوس مولينوس » بالنسبة لها . ونتيجة لذلك اعتنقت السيدة الثانية فكرة غلى الماء . وفى أوساط ربات البيوت الفقيرات ، مثل السيدة الثالثة ، رأينا فى وضوح الشكوك التى أحس بها هؤلاء الناس نحو الزائرات الصحيات . كما لاحظنا أن أفراد هذه الطبقة لا يجدون الوقت أو المال لغلى الماء وأن فهمهم لطبيعة الجراثيم ما زال ناقصاً . إن شأن هذه السيدة الثالثة شأن الغالبية العظمى من ربات البيوت فى « لوس مولينوس » إذ أنها رفضت اعتناق فكرة غلى الماء قبل استخدامه .

عناصر انتشار الأفكار الجديدة :

سنستخدم التعاريف الخاصة بالمصطلحات التى وردت فى هذا القسم من الكتاب فى الجزء الباقى منه . على أنه تم حتى الآن تحديد مضمون بعض المفاهيم بطريقة عابرة من خلال التحدث عنها وإن كان ما زالت هناك حاجة إلى تحديد أكثر دقة لمعانى بعض المصطلحات الواردة فى هذا النص والتى تهدف إلى الإقلال ما أمكن من الاضطراب المستشرى للأفكار الذى أحاق ببعض المفاهيم الرئيسية فى هذا الموضوع .

وعند ما نتناول بالتحليل موضوع انتشار الأفكار الجديدة فإننا نجد عناصر أربعة رئيسية :

١ — الفكرة المستحدثة .

٢ — انتقال الفكرة الجديدة من شخص إلى آخر .

٣ — التركيب الاجتماعى للبيئة .

٤ — الفترة الزمنية الضرورية للانتقال .

وهذه العناصر الأربعة هى بوجه عام كتلك التى ذكرها « كاتز » عام ١٩٦١ باعتبارها لا غنى عنها فى أى دراسة لانتشار الأفكار وهى :

١ — اقتفاء آثار الفكرة الجديدة .

٢ — الفترة الزمنية اللازمة للانتشار .

٣ — وسائل هذا الانتشار .

٤ — التركيب الاجتماعى الغالب على البيئة التى تظهر فيها الفكرة الجديدة .

لقد اعتبر « لازويل » ذات مرة كافة البحوث التى أجريت على انتشار الأفكار الجديدة مجرد تحريات حول « من الذى قال ؟ » ، و « ماذا قال ؟ » ، و « بأية طريقة قيل هذا الشىء ؟ » و « لمن قيل هذا الشىء ؟ » و « ما هى النتائج ؟ » .

١ — الفكرة الجديدة :

والفكرة الجديدة ما هى إلا سانحة يتصور صاحبها أنها شيء جديد لا شبيه له ، ولا يهم كثيراً فى مجال السلوك البشرى سواء أكانت الفكرة حقيقة جديدة أم لا عند ما تقاس بمدى الفترة الزمنية التى تنقضى من لحظة ظهورها أو استخدامها ، وإن جدة الفكرة بالنسبة للفرد إنما هى التى تحدد طريقة تصرفه حيالها .

والنظر إلى أية فكرة جديدة باعتبارها مجرد فكرة جديدة من شأنه أن يوسع من نطاق هذا التعريف . والفكرة الجديدة قد تتضمن مثلا الحركات الاجتماعية ومستحدثات الملابس وبدعها ورقصات التويست وغير ذلك من التقاليع . وعند ما يتطلب الأمر الإتيان بتعريف جامع مانع للأفكار الجديدة يمكن أن نتبع البدعة بكلمة « فنى » مثلا أو « تنظيمى » أو أية كلمة أخرى تفيد فى تحديد المعنى فنقول بدعة «فنية» أو بدعة «تنظيمية» . ومعظم الأفكار الجديدة ليست جميعها من البدع الفنية التكنولوجية .

٢ — انتقال الفكرة من شخص إلى آخر :

والانتشار هو العملية التى تذاع بواسطتها الفكرة الجديدة ، أو البدعة المستحدثة . وعملية الانتشار تنطوى على خروج فكرة جديدة من مصدرها إلى الذين يستخدمونها أو يعتنقونها .

ولب عملية الانتشار هو التفاعل الإنسانى الذى من خلاله ينقل شخص من الأشخاص فكرة جديدة إلى شخص آخر . بهذه الصورة الرامية إلى توضيح الفكرة بأبسط صورة ممكنة يمكن القول إن عملية الانتشار تتركب من:

(١) فكرة جديدة .

(٢) شخصية أولى تعرف شيئاً عن الفكرة الجديدة .

(٣) شخصية ثانية لم تعرف بعد شيئاً عن الفكرة الجديدة .

والعلاقات الاجتماعية بين الشخصيتين مسئولة إلى حد كبير عن الظروف

التى بمقتضاها تنقل الشخصية الأولى الفكرة الجديدة إلى الشخصية الثانية ، وعن نتائج هذا النقل .

٣ — التنظيم الاجتماعى السائد :

ونعنى بالتنظيم الاجتماعى المجموعة التى يختلف أفرادها من ناحية العمل الذى يقومون به ، وإن كانوا يشتركون فى اتباع سلوك اجتماعى واحد يستهدف حل ما يصادفونه من مشكلات . والأعضاء فى تنظيم اجتماعى واحد هم مجرد أفراد وإن كانوا يمثلون مجموعات غير عادية ، أو مؤسسات صناعية ، أو مدارس . وعند تحليل التنظيم الاجتماعى فى أية دراسة خاصة بطبيعة انتشار الآراء الجديدة نجد أنه قد يتركب من جميع الفلاحين فى إحدى المناطق ، والأطباء فى بيئة واحدة ، وأفراد قبيلة من القبائل الوطنية . وكل فرد من أفراد التنظيم الاجتماعى يمكن أن يتميز عن غيره من الأفراد . وجميع الأعضاء فى تنظيم اجتماعى واحد يتعاونون على الأقل طالما أن لديهم إحدى المشكلات المشتركة بينهم يسعون إلى حلها .

والأنماط الخاصة بتبنى الأفكار الجديدة تعتبر استمراراً لشىء واحد موصول الحلقات ، ويتراوح طرفا هذا الشىء ما بين الاختيار الحر من قبل الأفراد أنفسهم والقرارات الجماعية الملزمة :

١ — هناك أفكار جديدة كثيرة يتبناها فرد دون أى اعتبار لرأى غيره من الداخلين فى التنظيم الاجتماعى الذى ينتمى إليه . ومن البديهيات أن الفرد فى القرارات التى يتخذها حيال فكرة جديدة قد يكون متأثراً بغيره من أفراد التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فى إطاره ، ولكن قرارات اعتناق الفكرة إنما تعود إلى حد كبير إلى الشخص نفسه .

٢ — وعلى مدار هذا الاستمرار الموصول الحلقات ، الذى يتراوح طرفاه ما بين الاختيار الحر من قبل الأفراد أنفسهم والقرارات الجماعية الملزمة ، يمكن التحقق من نقطة ذات موقع متوسط ، وهذه تمثل نمط الفكرة

الجديدة التى تتطلب قبولا مسبقاً من قبل الغالبية العظمى من أفراد التنظيم الاجتماعى السائد ، وذلك قبل أن يتخذ الفرد قراراته القاضية باعتناق الفكرة الجديدة . ومن المحتمل أن يرغب الفرد فى اعتناق فكرة معينة ، ولكنه لا يستطيع ذلك ما لم ينضم إليه آخرون فى هذا الاعتناق . والمثل على ذلك هو تبنى القبائل الهندية للنشاط الجماعى المتمثل فى رقصة الشمس . وهناك مثل آخر يتمثل فى إنشاء محطة كهرباء مركزية للفلاحين ، حيث لا بد أن يقبل الآخرون من أفراد البيئة هذه الفكرة قبل أن يستطيع فرد ما اعتناقها . وثمة فائدة قليلة يمكن أن تجنى من إنشاء مخبأ عائلى خاص للهرب فيه من الإشعاعات الذرية ما لم يتبين الفكرة العدد الأكبر من أهل الجيرة المحيطة .

٣ — ثمة آراء يتم اعتناقها عن طريق قرارات جماعية ترغم الآخرين على قبولها برغم معارضتهم لها ، والمثل على ذلك خلط مياه المدن بمادة الفلورين . وبمجرد أن تتخذ البيئة قرارها يصبح ملزماً لجميع المنتمين لها . وخلط الماء بالفلورين استحدثه خبراء صحة الأسنان حوالى عام ١٩٥٢ كوسيلة لمنع تسوس الأسنان ، واعتنق أناس كثيرون الفكرة فى الأعوام الأولى لظهورها . ولم يكد ينتهى عام ١٩٥٢ حتى أخذت المعارضة للفلورين شكلا منظما ، وقل تبعاً لذلك عدد المستجيبين للدعوة . وبنهاية عام ١٩٦١ شرب حوالى ثلث الأفراد فقط ممن يستخدمون الشبكات المائية الماء مخلوطاً بالفلورين ، كما أن حوالى ٨٠ ٪ من الأشخاص الذين سئلوا فى استفتاء محلى عن موقفهم من هذه الفكرة أجابوا بعدم رضائهم عنها . ويدلنا هذا المثال على أن انتشار الأفكار القائم على قرارات جماعية قد يشكل عملية أكثر تعقيداً ، وبخاصة عندما تكون المعارضة للفكرة على شىء من التنظيم مما يمكن أن يكون عليه الحال إزاء الأفكار الجديدة التى تتطلب حرية فردية . وفكرة تبنى البيئات لخلط الماء بالفلورين كان يمكن

أن يدعمها إلى حد كبير لو أمكن الحصول بسهولة على مادة أخرى مضادة للفلورين يستطيع المعارضون له أن يضعوها فى المياه التى يستخدمونها وبذلك يزيلون الأثر الناتج عن وضع الفلورين فى شبكة المياه الرئيسية فى المدينة . مثل هذا الإجراء الفردى من شأنه أن يحول الفكرة من فكرة تتطلب قراراً جماعياً ، إلى أخرى لا تتطلب إلا قراراً فردياً .

والمعايير الخاصة بالتنظيم الاجتماعى ، وبكل من الشخصيتين « ا » و« ب» فى التركيب الاجتماعى لهذا النظام ، من شأنها أن تؤثر فى عملية انتشار الفكرة الجديدة . وإن أهمية هذا التركيب الاجتماعى فى مجال تحليل عملية الانتشار قد سبق أن أشار إليها « كاتز » عام ١٩٦١ مؤكداً إياها بقوله : « يكاد يكون من غير المعقول دراسة عملية الانتشار دون وجود قدر من المعلومات المتعلقة بالتركيب الاجتماعى الذى يعيش فى إطاره الأفراد المتوقع اعتناقهم للفكرة الجديدة . ونحن إن فعلنا هذا نكون كمن يريد دراسة الدورة الدموية من غير معلومات كافية عن تركيب الأوردة والشرايين» . والفكرة الجديدة يمكن تعقبها وهى تنتشر فى تنظيم اجتماعى ما تماماً كما يتعقب العلماء كشافات الإشعاعات الذرية وهى تمرق خلال جسم الإنسان.

والتعريف السائد للمعيار الاجتماعى هو النمط السلوكى الشائع بين أفراد تنظيم إجتماعى معين . والمعايير الاجتماعية فى تنظيم اجتماعى قد تكون تقليدية قديمة وهى بذلك تقلل من إمكان اعتناق الأفكار الجديدة . وقد تكون عصرية وهى بذلك تشجع على اتباع الأفكار الجديدة . ومن الأمور البديهية أن الفرد قد يكون عضواً فى أكثر من تنظيم اجتماعى واحد ، والمعايير الاجتماعية الخاصة بهذه التنظيمات قد تتراوح ما بين قديمة تقليدية وحديثة عصرية .

وكدليل على أهمية المعايير الخاصة بتنظيم اجتماعى معين ما رآه مؤلف هذا الكتاب ذات مرة أثناء زيارته لجيرتين زراعيتين فى « هولندا » تبعدان

عن بعضهما خمسة أميال فقط إذ وجد أن المعايير الاجتماعية السائدة فيهما تختلف ما بين قديمة تقليدية فى إحداهما ، وحديثة عصرية فى الأخرى . والفلاحون فى الجيرة الأولى التقليدية لم يعتنقوا بعد الأفكار الزراعية التى استخدمت بنجاح لفترة تقرب من عشرين عاماً فى الجيرة الثانية التى تتغلب فيها المعايير العصرية الحديثة .

على أن الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين لا يلعبون جميعهم أدواراً متكافئة فى مجال نشر الآراء الجديدة والتمكين لها . فثمة فرد قد يخبر غيره عن فكرة جديدة فى حين أن فرداً آخر قد ينشر الفكرة الجديدة بين عدد كبير من الناس . أى أن شخص « أ » قد ينقل الفكرة الجديدة ليس فقط إلى شخص « ب » بل أيضاً إلى أشخاص « ج » و « د » و « ه » .

والمشابهون لهذا الشخص فى مجتمع من المجتمعات ، وهم الذين يخبرون عدداً كبيراً بالأفكار الجديدة ، يطلق عليهم فى العادة قادة الفكر . وقادة الفكر هم أولئك الأفراد الذين يقصدهم غيرهم لطلب النصيحة والمعلومات . وطريقة قياس العلاقات الاجتماعية هى إحدى الطرق التى توضح أشكال الريادة الفكرية السائدة بين الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين .

وحتى الآن لم نفكر إلا فى طريقة انتشار الأفكار الجديدة فى تنظيم اجتماعى معين . ولكن من الواضح أن الفكرة الجديدة لا بد أن تدخل التنظيم الاجتماعى من خلال مصدر من المصادر . والفكرة قد تخلق أو تخترع فى نطاق التنظيم الاجتماعى السائد ، أو أنها قد تأتى من أحد المصادر الخارجية . فأحد الأفراد قد يكون أكثر انفتاحاً على العالم الخارجى من غيره لأنه أخذ الفكرة الجديدة عن مصـــدر خارجى عن التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فى إطاره .

وقادة الفكر هم فى معظم الأحوال أعضاء فى التنظيم الاجتماعى الذى يمارسون فيه تأثيرهم . وفى بعض الحالات يكون الأفراد المؤثرون فى

التنظيم الاجتماعى من المحترفين الذين يمثلون منظمات خارجة عن التنظيم الاجتماعى . والأخصائى الاجتماعى ، والزائرة الصحية ، إنما هما شخصان محترفان يحاولان جهدهما أن يدفعا بحركة التبنى لفكرة من الأفكار فى اتجاه يشعران أنه مرغوب فيه . إنهما يسعيان فى العادة إلى العمل على أن يتبنى الآخرون الأفكار الجديدة ، ولكنهما قد يسعيان أيضاً إلى الإقلال من سرعة انتشار الفكرة ، كما قد يعملان على الحيلولة دون اعتناق الناس لأفكار معينة .

٤ — الفترة الزمنية اللازمة للانتقال :

ما الذى يحدث بعد أن يسمع الشخص «ب» عن فكرة جديدة من الشخص «ا» ؟ فى حالات معينة قد يقرر الشخص «ب» أن يعتنق الفكرة الجديدة . والاعتناق هو فى حد ذاته قرار بالاستمرار فى الاستخدام الكامل لفكرة جديدة ، وهذا التعريف يتضمن أن المعتنق للفكرة الجديدة مؤمن بها وموافق عليها .

وعملية التبنى هذه ماهى إلا العملية العقلية التى يمر فيها الفرد منذ سماعه لأول مرة عن الفكرة الجديدة حتى مرحلة الاعتناق التام لها .

وثمة مراحل خمس تمر فيها عملية الاعتناق ، وهـــذه المراحل هى : الإدراك ، الاهتمام ، التقييم ، المحاولة ، وأخيراً الاعتناق . وعملية الاعتناق تختلف عن عملية الانتشار من ناحية أن الأولى تتعلق باعتناق الفرد لفكرة جديدة ، فى حين أن عملية الانتشار تتعلق بذيوع الفكرة الجديدة داخل إطار التركيب الاجتماعى ، أو أنها تتعلق بانتشارها داخل المجتمعات المحدودة .

ونورد فيما يلى مثالا نوضح به معنى الاعتناق فى مجال الجديد من الأفكار . هناك فلاح نرمز إليه بالحرف «ا» سمع لأول مرة عن بذور الذرة الهجين من قراءة مجلة زراعية وكان ذلك عام ١٩٣٣ . لم يقتنع بقيمة

هذا النوع من البذور حتى جاء عام ١٩٣٦ عند ما ناقش الفكرة مع أحد جيرانه ، وفى نفس هذا العام اشترى الفلاح مكيالا من هذه البذور . وحوالى عام ١٩٣٨ زرع هذا الفلاح كل أرضه المخصصة لزراعة الذرة بأنواع مهجنة من هذه البذور . والسؤال هنا ، متى اعتنق هذا الفلاح فكرة الذرة الهجين ؟

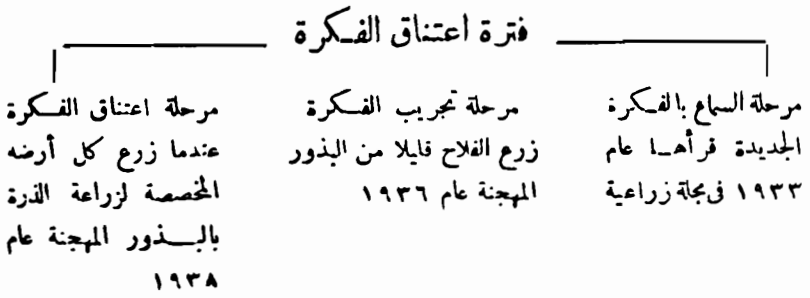

شكل رقم (١ — أ) « فترة اعتناق الفكرة من لحظة السماع عنها حتى تنفيذها »

ووفقاً للتعريف المستخدم فى هذا الكتاب اعتنق الفلاح الذى رمزنا إليه بحرف « أ » الفكرة عام ١٩٣٨ عندما قرر وضعها موضع التنفيذ . أما الفترة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٣٨ إنما هى الفترة الزمنية اللازمة لكى يمر الفلاح خلال عملية الاعتناق من لحظة السماع عنها حتى لحظة اعتناقها .

هذا الفلاح بالذات أصبح فيما بعد معارضاً لفكرة البذور المهجنة وعلى ذلك توقف عام ١٩٤١ عن اعتناقها عند ما زرع كل أرضه المخصصة للذرة ببذور بكر غير مهجنة . والتوقف هنا ما هو إلا قرار اتخذه هذا المزارع للإقلاع عن فكرة جديدة سبق أن اعتنقها . والرفض أيضاً فى هذه الحالة إنما هو نوع من الرفض للفكرة الجديدة ، والتوقف قرار بعدم التبنى لفكرة جديدة . وفى المثال الحالى ، لو أن الفلاح الذى رمزنا إليه بالحرف « أ » كان قد قرر عام ١٩٣٨ الإقلاع الكامل عن زراعة أرضه كلها بالبذور المهجنة ، فإننا نعتبره من الرافضين للفكرة .

أما لو كان هذا الفلاح قد تبنى هذه الفكرة عام ١٩٣٨ حين كان بعض الفلاحين من بيئته قد سبقوه فى هذا الشأن ففعلوا ذلك عام ١٩٣٢ فإن هذا الفلاح يعتبر أقل من غيره من أعضاء التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه انفتاحا للأفكار الجديدة . والانفتاح للأفكار الجديدة هو الدرجة التى يسبق بها الفرد غيره من أعضاء البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها استباقا نسبياً فى مجال اعتناق الأفكار الجديدة . ومن غير أن نقول عن هـــذا الفلاح إنه أقل إحساساً بجديد الأفكار من بعض الأفراد الذين يشكلون هيكل التنظيم الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، فإنه من الأوفق أن نشير إليه باعتبار أنه يقف فى آخر الصف من الرعيل المتقدم . أى أنه ليس متأخراً بل إنه آخر المتقدمين . وهذا التمثيل المختصر يوفر الكلمات ، ويساعد على الفهم الواضح . وفئات المتبنين للأفكار الجديدة يشكلون قسما رئيسياً للأفراد داخل تنظيم اجتماعى على أساس الانفتاح لجديد الأفكار ومستحدثها . والفئات الخمس المستقلة المذكورة هنا هى : المبتكرون للأفكار الجديدة ، والمتبنون الأوائل ، والغالبية المتقدمة ، والغالبية المتأخرة ، والمتلكئون فى إعتناقها .

إن مقياس القدرة على استنباط جديد الأفكار وكذلك تصنيف الأفراد على أساس استنباطها واعتناقها إنما يؤسسان أصلا على الوقت الذى يتم فيه اعتناق الفكرة الجديدة .

* * *

الملخص :

وفى أى تحليل نجريه على ذيوع الأفكار الجديدة نجد عناصر أربعة رئيسية هى :

١ — الفكرة الجديدة .

٢ — انتقالها من فرد إلى آخر .

٣ — التنظيم الاجتماعى الذى يتم فى إطاره هذا الانتقال .

٤ — وأخيراً القاعدة الزمنية لهذا الانتقال .

والانتشار إنما هو العملية التى تنتقل بواسطتها الفكرة الجديدة . وعملية الانتشار هى خروج الفكرة من مصدرها إلى الذين يستخدمونها فى النهاية ، أو الذين يتبنونها . والتنظيم الاجتماعى ماهو إلا قطاع من السكان المتميزين وظيفياً المصطنعين لسلوك جماعى أساسه السعى إلى حل المشكلات . واعتناق الأفكار الجديدة فى حقيقته قرار لمواصلة استخدام هذه الفكرة استخداماً كاملا . وعملية الاعتناق هى العملية الفعلية التى يمر الإنسان خلالها من لحظة سماعه عنها لأول مرة حتى مرحلة التبنى النهائى لها . والانفتاح لقبول الأفكار الجديدة هو المرحلة التى يعتبر الفرد عندها أكثر استباقاً نسبياً إلى تبنى الأفكار الجديدة من غيره الذين ينتمون لتنظيمه الاجتماعى . وفئات المتبنين للأفكار المستحدثة يشكلون قسما رئيسياً من التنظيم الاجتماعى الذى يعمل الأفراد داخله على أساس من الانفتاح لقبول الجديد من الأفكار .